مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

رواد الشناقطة : العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي الموريتاني أنموذجا

The pioneers of Al Shanqata: The scholar Muhammad bin Muhammad Salem Al-Majlisi, a Mauritanian, as a model

الأستاذ الباحث : ميمون الشيخي

جامعة ابن طفيل . القنيطرة . المغرب

mim.chikhi@gmail.com

تاريخ ارسال المقال: 2020/01/18	تاريخ القبول: 2020/01/29	تاريخ النشر: 2020/03/01

المرسل: أ. ميمون الشيخي

الملخص :

لا يخفى على المختص في مجال العلوم الشرعية المكانة الأساس التي يحتلها الحديث النبوي الشريف، لذلك حرص المهتمون على رعايته وصيانته بقدر حرصهم على دراسته من حيث التصنيف والتأليف. وتعتبر إسهامات الشناقطة في خدمة الحديث النبوي من بين مؤشرات هذا النوع من الاهتمام، وقد برز في الساحة العلمية ارتباطا بالموضوع الشيخ العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي الموريتاني أحد رواد الفكر الشنقيطي .

الكلمات المفتاحية : الرواد ، الشناقطة ، العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي الموريتاني ، أنموذج.

ARTICLE TITLE

The expert in the field of religious sciences does not conceal the basic position that the noble prophetic hadith occupies. Therefore, those interested were keen to take care of it and maintain it as much as they were keen to study it in terms of classification and composition. One of the indicators of this type of interest is the participation of Al- Shanaqita in the service of the hadith. It has emerged in the scientific area, in connection with the subject, Sheikh Scholar Mauritanian Muhammad bin Muhammad Salem Al-Majlisi one of the pioneers of Shanqiti thougt

Key words : PIONEERS- AL SHANAQITA- Scholar Mauritanian Muhammad bin Muhammad Salem Al-Majlisi- MODEL

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد:

يعتبر علم الحديث النبوي الشريف من العلوم الإسلامية الهامة من منطلق نصوص القرآن ونصوص السنة وإجماع الأمة، كما أن المسلمين ينظرون إلى الحديث النبوي الشريف نظرة توقير وتبجيل، باعتباره المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم.

وتتجلى مظاهر حفظ الله سبحانه لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أن هيأ لها خير قرون هذه الأمة، فتلقوها عنه صلى الله عليه وسلم وحفظوها في صدورهم، وألقوا إلى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً، فكان سندهم فيه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العالمين سنداً صحيحاً عالياً، وقالوا: هذا عهدُ نَبِيِّنَا إلينا، وقد عَهِدْنَا إليكم، وهذه وصيةُ رَبِّنَا وفرضُهُ علينا، وهي وَصِيَّتُهُ وفرضه عليكم. فجرى التابعون لهم بإحسان على منهاجهم القويم ... ثم سلك تابعو التابعين هذا المسلك الرشيد .

ومع مرور الأيام، وتعاقب الأزمان، دخل في هذا الشأن من ليس من أهله، فوقع الوهم والغلط في الرواية، بل وظهر الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم.

فحينئذ أقام الله سبحانه طائفة من الأئمة الحفاظ، فاجتهدوا في جمع الأحاديث والآثار في الصحاح والمسانيد والسنن، والجوامع، والمعاجم، وغيرها، فلم ينقض القرن الرابع الهجري إلا وقد استوعبت مصنفاتهم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه، ومن بعدهم من التابعين وأتباعهم، كما صنفت كتب الجرح والتعديل وبيان أحوال الرواة، فَعُرِفَ الثقة الثبت من المجروح العليل، مما مَكَّنَهُم من النظر في أسانيد الأحاديث والآثار، وتمييز الصحيح من الضعيف والسليم من المعلول من تلك الأخبار، وهم مستمرون على ذلك على مر الدهور والأعوام، وحتى قيام الساعة إن شاء الله؛ فإن الله سبحانه يقيِّض في كل زمان وعصر وفي كل قُطْرٍ ومصر من العلماء الْمُبَرِّزين من يَذُبُّ عن سنته صلى الله عليه وسلم، ويحمي حوزة الدين من كل مُبْتَدِعٍ ودخيل، وهم ظاهرون على الحق، قائمون بأمر الله لا يَضُرُّهُم من خَذَلَهُم أو خَالَفَهُم حتى يأتيَ أمر الله وهم ظاهرون على النَّاس. ومن أولئك الأعلام الأفذاذ **فضيلة العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي**.

فيأتي هذا المقال إسهاما مني في إبراز جهود الرجل في خدمته حديث رسول الله صلى الله عله وسلم ، سأعالج الموضوع من خلال عنصرين اثنين:

العنصر الأول: ترجمة فضيلة العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي.

العنصر الثاني: خدمة فضيلة العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي للحديث النبوي.

وقد اعتمدت في ذلك المنهج الوصفي الذي يتلاءم وطبيعة الموضوع قيد الدراسة

المحور الأول: ترجمة فضيلة العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي[1].

هو المجلسي العلوي الفاطمي الحسني الإدريسي المالكي الأشعري الصوفي النقشبندي، محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد بن محمد بن عمر بن السيّد، وهو بوسيدي بن أبي بكر ابن علي بن يمغدش سالم بن وديعة الله بن عبد الله بن أحمد بن يفت (أي يعيش) أخيار بن يدر الحسن بن إبراهيم الأموي، إلى أن يصل النسب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

أما أمه فهي حفصة بنت سيدي محمد بن عبد الله بن المختار بن محمد بن أكنابر بن محمد بن أبي عنك (كُني ببنت له جميلة)، ابن أعمُر بن أبي عامر أبي السباع، إلى أن يصل نسبها إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[2].

ولد المؤلف سنة 1206هـ ، وتوفي سنة 1302هـ. مات أبوه وهو في الرابعة من عمره، مخلّفًا أخاه أحمدو، وثلاث بنات: عيشة البنبارية، مريم، وفاطمة. لذا كانت نشأته مليئة بالمصاعب والمساغب3.

وكانت نشأة المؤلف في منطقة تيرس الغربية[4]، التي هي عبارة عن مفاوز تتخلّلها أحقاف رمال منتشرة هنا وهناك، وجبال وسباسب مترامية، تنبت النجم والشجر، في هذه المنطقة عاش المؤلف جُلَّ عمره، وأرسى محضرته، وكذلك من بعده أبناؤه، في محيط طبيعي قاس وعر، قد لا يشجع كثيرًا على تحصيل فنون العلم والمعرفة، فموريتانيا[5] تقع في الجزء الشمالي الغربي من القارة الإفريقية، يحدّها المحيط الأطلسي غربًا، ومالي من الجنوب الشرقي والشرق، والجزائر من الشمال الشرقي، والصحراء الغربية من الشمال[6].

وقد عرفت موريتانيا قبلُ بأسماء كثيرة، منها: صحراء الملثمين، بلاد التكرور، بلاد شنقيط[7]، البلاد السائبة، بلاد الفترة، بلاد المغافرة، المنكب البرزخي، بلاد البيضان، بلاد بيضان السودان، والمفازة الكبرى[8].

هكذا تأسَّست معالم نهضة علمية متميزة جديدة، تُزاد إلى ثروة البلاد العلمية والحضارية[9]. فالمحضرة الشنقيطية بدأت على ظهور الجمال في حياة بدوية، تحمل في تضاعيفها حضارة العلم والتوعية والمعرفة الحقة، ولو لبست لبوس البداوة.

العنصر الثاني: فضيلة العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي وخدمته لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مع مستهل القرن السادس الهجري، بدأ الحديث عن أول العلماء في شنقيط الذين بنوا الحواضر القديمة في هذا القطر وأسسوا المدارس لتعليم الثقافة الإسلامية ، ويذكر من بين هؤلاء الرواد اثنان من تلامذة القاضي عياض، وهما : الشيخ صالح الإدريسي الذي أنشأ مدينة تيشيت والحاج عثمان الأنصاري (570هـ)، مؤسس مدينة وادان، وبعدها بناء مدينة شنقيط وهم : يحي وأعمر من العلويين ومحمد الأبيض جد قبيلة الأقلال ، وقد كان في هذه المدن الثلاث نشاط علمي كبير ، إلا أن علوم القرآن والفقه استأثرت باهتمام الدارسين بحثا وتأليفا، وكانت دراسة كتب الحديث تكاد تقتصر على التبرك والتعهد ولم تظهر العناية بعلوم الحديث بعد القرن الحادي عشر ، ولعل أول ما يطالعنا فيها هو العلامة الحسين بن آغبدي التيشيتي محمد المختار أما العالم الشهير والمذكور هو: العلامه محمد بن محمد سالم المجلسي وهو زعيم المحضرة ضائعة الصيت في غرب بلاد شنقيط، وقد تخرج منها جل علماء المنطقة، اشتهرت بتدريس الفقه المالكي، وبالخصوص البحوث المتعلقة بمختصر خليل ابن إسحاق المشهور بشرحه الكبير الموسوم بـ "**اللوامع الدرر في فتح مخبئات المختصر**"، وهو موسوعة من تأليف شيخ المحضرة محمد بن محمد سالم، وقد اتبع نهجه ابنه عبد القادر فصنف ثمان الدرر في شرح المختصر. لكن أعمال والده لم تقتصر على المؤلفات الفقهية، فمن كتبه "**الريان في تفسير القرآن**"، وكتاب "**النهر الجاري في شرح صحيح البخاري**" يقع في سبع مجلدات ببلغ كل منها نحو سبعمائة صفحة من الحجم الكبير، وقد استهله بمقدمة من أربعة فصول تناول فيها فضل أهل الحديث وتاريخ تدوين الحديث ، ومسائل من مصطلحه والتعريف بالإمام البخاري ، ويبدو أنه اعتمد فيه "**فتح الباري**" لابن حجر وشرح القسطلاني، وقد أورده محمد الحافظ بين المجتبى من هذا الشرح أمثلة من صنيعه في كتاب العلم ومن كلامه في الجزء الأول من هذا الشرح بعد المقدمة قوله : (كتاب العلم) : "أي بيان ما يتعلق بالعلم وفضله وذم كتمه وغير ذلك، وحده صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض في الأمور المعنوية، واحترزوا بقولهم لا يحتمل النقيض على مثل الظن، وبقولهم في الأمور المعنوية عن إدراك الحواس، لأن إدراكها من الأمور الظاهرة قاله القسطلاني."

ثم قال (باب فضل العلم) : "أي هذا باب في فضل العلم، أي شرفه وجلالته عند الله تعالى: **{قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}**[10]، **{إنما يخشى الله من عباده العلماء}**[11] ولله در الشيخ الشريف عبد العزيز الدباغ رحمه الله حيث يقول : ومن الأسباب الموصلة إلى الله تعالى تعظيم العلماء الذين هم حملة الشريعة، ولو يعلم العامة قدر العالم عند الله تعالى لما تركوه يمشي على وجه الأرض، ولحملوه على أعناقهم".

معلوم أن توقير العلماء أمر أساس وشرط لا محيد عنه في تحصيل العلم ، ففضلهم على الأمة لا ينكره إلا جاهد ، كما لا ينبغي الخوض في عثراتهم واستهدافهم بالطعن ، فذلك سلوك مخالف لمنهج السلف الصالح ، وكما ذكر ابن عباس: "درجات العلماء فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين خمسمائة عام، وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر، وفيه فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، وفي الحديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء على بالشهداء."

وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن سنان، بكسر السين المهملة وبالتنوين،أبو بكر البصري حدثنا فليح بضم الفاء وفتح اللام وسكون المثناة التحتية، وهو لقب له، واسمه عبد الملك إلى انتهى من التعريف بالسند على هذا الوجه. قال الأعرابي: (متى) أي وقت تكون (الساعة فمضى) أي استمر رسول الله صلى الله عليه وسلك ولم يقطع حديثه.

فقال بعض القوم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال الأعرابي، فكره ما قال، أي كره سؤاله عن وقت الساعة إلى أن قال عليه الصلاة والسلام مجيبا الأعرابي (إذا وسد الأمر)"[12] أي أسند الأمر المتعلق بالدين كالخلافة والقضاء والافتاء، (إلى غير أهله) أي بسبب ولاية غير أهل الدين والأمانات، والمعنى أن الله تعالى ائتمن الأئمة على عباده وفرض عليهم النصح، وإذا قلدوا الأمر لغير أهل الدين ضيعوا الأمانة، وفي هذا الحديث أن الساعة لا تقوم حتى يؤتمن الخائن، وهذا إنما يكون إذا غلب الجهال وضعف أهل الحق عن القيام به ونصرته، وفيه وجوب تعليم السائل لقوله عليه الصلاة والسلام: أين السائل، وفيه مراجعة العالم عند عدم فهم السؤال لقوله: كيف إضاعتها، وهو ثماني الإسناد. ورجاله كلهم مدنية، مع التحديث بالإفراد والجمع والعنعنة، قال ابن حجر: مناسبة هذا الحديث لكاتب العلم أن إسناد الأمر إلى غير أهلع إنما يكون عند غلبة الجهل وارتفاع العلم.

ويلاحظ في هذه النماذج اختياره في حد العلم للجانب المنطقي إذ جعله من باب اليقين مقابل الظن، كما يلاحظ أيضا اعتناؤه بالإعراب والتعريف برجال السند. وفي كلامه عن فضل العلماء لم يتعرض لتصحيح الأحاديث التي احتج بها في الموضوع[13].

هذا وقد كانت للمحاضر دور أساس في نشر الحديث وخدمته من خلال تعليمه وتعلمه، حيث يعتمد المدرس على مداركه لإلقاء الدروس شفهيًّا دون الالتجاء إلى المراجع، وهذه الطريقة نفسها تبناها المؤلف في نشره العلم، ولا سيما في الفقه وعلم الكلام، إذ له فيهما فنية خاصةكما شهد على ذلك معاصروه معاصروه، فضلاً عن علوم القرآن والحديث واللغة، وإن كان اعتناؤه بها في مجال التأليف أكثر شمولية منه في التدريس[14].

وقد برز الشيخ في عدة محاضر ميزت منطقة شنقيط

فالمحاضر عبارة عن مؤسسات تربوية متميزة، وجامعات علمية متفردة، اشتهرت بها المنطقة، وتميزت بعطائها العلمي الوافر شكَّلت حصانات روحية وخلقية وفكرية وثقافية للمسلمين.

وشكلت الحياة فيها جزءًا من حياة الناس في بلاد شنقيط على الصعد المختلفة، فهي عنصر أساس ومنشّط مهم. فالمحضرة مدرسة جامعة، بمقرَّرات ونظم وأعراف تربوية ذات قدر كبير من المرونة.

وقد ساهم محمد بن محمد سالم في هذا الجانب بإضافة متون للمقررات في عدة علوم: علوم القرءان،علوم الحديث، مصطلح الحديث، الفقه، قواعد الفقه، العقيدة، السيرة، التاريخ، اللغة، النحو، الصرف، البلاغة، المنطق، الطب، والحساب.

ولا تمنح المحضرة شهادة للطالب أو درجة، إنما تعدّه ليكون عالما، وهي مفتوحة طيلة أيام السنة، فكان لها الصيت الكبير من خلال العلماء المشاهير الذين تخرَّجوا منها.

من علماء هذه المحاضر المشاهير:

- عبد الله بن إبراهيم بن عطاء الله بن العلوي الشنقيطي (ت 1230هـ).
- غالي بن المختار فال الشنقيطي البصاري (ت 1243هـ).
- أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت 1331).
- محمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد مايابي الجكني الشنقيطي (ت 1363هـ)[15].

الخاتمة :

حاصل القول أن الشيخ العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي الموريتاني اعتبر في زمانه أحد رموز الشناقطة المدافعين عن الحديث النبوي الشريف ، فكان الرجل أشد الحرص في تمحيص الحديث وضبطه من خلال دارسته الدقيقة لعلم مصطلح الحديث من جهة ، ثم لإلمامه بخطورة هذا العلم الجليل وأهميته داخل العلوم الشرعية ، ولعل مخطوطه دليل ذلك ، فنال الرجل المدح بما هو أهل له من طرف أقرانه ومن المختصين في المجال.

وأهم خلاصات هذا المقال أذكر ما يلي :

- محمد بن محمد سالم المجلسي أحد مؤسسي المدارس لتعليم الثقافة الإسلامية بشنقيط خلال القرن السادس الهجري، كما يرجع له الفضل في بناء الحواضر القديمة بالمنطقة نفسها.
- البروز العلمي لمحمد بن محمد سالم المجلسي بالمنطقة من خلال تدريسه بعدة مؤسسات تربوية متميزة، وجامعات علمية متفردة، اشتهرت بها المنطقة، تميزت بعطائها العلمي الوافر شكّلت حصانات روحية وخلقية وفكرية وثقافية للمسلمين.
- إسهامات محمد بن محمد سالم بإضافة متون للمقررات في عدة علوم: علوم القرءان،علوم الحديث، مصطلح الحديث، الفقه، قواعد الفقه، العقيدة، السيرة، التاريخ، اللغة، النحو، الصرف، البلاغة، المنطق، الطب، والحساب.

المصادر والمراجع

- تحقيق مقدمة الريان في تفسير القرءان، ماجستير بإشراف أمين بن البشير، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط.
- سير أعلام النبلاء : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة الطبعة: 1427هـ-2006م.
- الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، الناشر: مؤسسة الحلب.
- الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز للشيخ محمد اليدالي، خطري ولد حامد جامعة ابن طفيل، المغرب،1427.1428هـ/2006.2007م.
- الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، لمحمد الحافظ المجتبي، وما بعدها المطبعة السريعة، الطبعة الثانية 2003.
- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا وتخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك: أحمد بن الأمين الشّنْقِيطي (المتوفى: 1331هـ)،الشركة الدولية للطباعة – مصر الطبعة: الخامسة، 1422 هـ - 2002 م.
- العلامة الشنقيطي مفسراً/ دراسة منهجية على تفسيره المسمى: اضواء البيان في ايضاح القران بالقران : عدنان بن محمد بن عبد الله ال شلش:، دار النفائس للنشر والتوزيع(2004) الطبعة الأولى.
- بلاد شنقيط، المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة، تونس 1987م.
- تاريخ بلاد شنكيطي موريتانيا من العصور القديمة إلى حرب شربيه الكبرى، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى 2010م.

الهوامش:

[1] راجع: محمد بن سالم المجلسي الشنقيطي، منح العلي في شرح كتاب الأخضري، المقدمة، ص10.34. محمد الحافظ بن المجتبى، الحديث الشريف وعلومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص183.189. محمد المختار ولد اباه، الشعر والشعراء في موريتانيا. أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري.

[2] هذا النسب ذكره المؤلف في مقدمة الريان. انظر: أحمد بن محمد الأمين النيني، تحقيق مقدمة الريان في تفسير القرءان للمجلسي، ص6.

[3] تحقيق مقدمة الريان في تفسير القرءان، ص6، 7.

[4] المغرب اسم أطلقه العرب على شمال غرب إفريقيا، بما فيه طرابلس وبرقة. إبراهيم رزقانة، المغرب العربي، ص3، 26، 37.

[5] لمزيد من المعلومات عن موريتانيا راجع: حماه الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا. محمد سعيد بن أحمدو، موريتانيا بين الانتماء العربي والتوجه الإفريقي. حماه الله ولد السالم، موريتانيا في الذاكرة العربية. المختار ولد حامد، التاريخ السياسي (موسوعة حياة موريتانيا).

[6] بتول بنت عبد الحي، الجغرافيا للحلقة الثالثة من التعليم الأساسي، ص10. وراجع: حياة موريتانيا (الجغرافيا).

[7] أُطلق هذا الاسم "شنقيط" في سابق التاريخ على جمهورية موريتانيا الإسلامية البلاد منذ القرن السادس الهجري، علمًا أن شنقيط هي إحدى مدن الصحراء الكبرى في أقصى موريتانيا حاليًا في الشمال الغربي، كما أنها في حقبة من الزمن من أعمال "أدرار"، وهي اسم إقليمين في إفريقيا. وموريتانيا تقع في إقليم الساحل الصحراوي من المنطقة الشمالية الغربية من قارة إفريقيا، وتمتد من الغرب نحو الجنوب، ويقع عند حدودها الشمالية الشرقية إقليم تندوف بالجزائر، أما الساقية الحمراء (الصحراء الإسبانية، أو ما يُقال لها الآن الصحراء المغربية المتنازع عليها مع جبهة البوليساريو) فيحدها نهر السنغال ودولة السنغال وجمهورية مالي والمحيط الأطلسي. العلامة الشنقيطي مفسّرًا، عدنان بن محمد بن عبد الله ءال شلش، ص20.31.

[8] خطري ولد حامد، دكتوراه في الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز للشيخ محمد اليدالي، جامعة ابن طفيل، المغرب، 1427.1428هـ/2007.2006م، ص10، 11.

[9] تُعتبر موريتانيا الجسر الفاصل بين إفريقيا العربية وإفريقيا السوداء، وهي تشكّل بعدًا استراتيجيًّا، ومركزًا مهمًّا في نقل الحضارة بين مختلف الشعوب. العلامة الشنقيطي مفسّرًا، عدنان بن محمد بن عبد الله ءال شلش، ص20.31.

[10] . سورة الزمر : الآية 9 .

[11] . سورة فاطر: الآية 28.

[12] . صحيح البخاري كتاب العلم باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب السائل حديث رقم 59

[13] الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، محمد الحافظ المجتبي، ص185 وما بعدها المطبعة السريعة، الطبعة الثانية 2003.

[14] خليل النحوي، بلاد شنقيط، المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاظر)، ص75. محمد المختار السوسي، ص141. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص348.

[15] العلامة الشنقيطي مفسّرًا، ص43.48.